مصطلحات علم النفس

ومشكلة تعريبها ونقلها الى العربية

للدكتور مظهر سعيد

استاذ علم النفس في معهد التربية وكلية اصول الدين

مقدمة في نشأة علم النفس وتطوره

لو نظر الانسان بعين الانصاف الى كل علم من العلوم الانسانية . من حيث نشأته وتطوره وتقدمه في ميدانه . وما وصل اليه في حاضره وما يرجى لهُ في مستقبله . ثم مبلغ اثره في الحياة وتقدم العالم . وقابل بينهُ وبين سائر العلوم . وحدد لهُ قيمتهُ النسبية ليحلهُ بينها محله اللائق لما وسعهُ الاَّ ان ينظر الى علم النفس الحديث غير نظرته اليها جميعها . فهو على حداثة عهده وصغر سنه من اجلها شأناً واقدمها تاريخاً واعرقها اصلاً واسرعها سيراً نحو الرقي واعمقها اثراً في حياة الافراد والجماعات واكثرها انتاجاً — الاَّ انهُ على الرغم مما وصل اليه في مادته وموضوعاته ومباحثه من الدقة والنظام فهو من حيث اساليبه وتراكيبه ومصطلحاته لا يزال اقلها دقةً ونظاماً وتحديداً للمعنى وربطاً للفظ . واصعبها في النقل ليس من اللغات الاجنبية الى اللغات الشرقية — وخاصة العربية التي لم تعرف شيئاً عن هذا العلم الحديث قبل القرن العشرين — فحسب بل ومن لغة اجنبية حية الى لغة اجنبية اخرى . حتى دعت الحال في اوربا الى عقد مؤتمر عام منذ سنين قلائل للنظر في تحديد مصطلحاته او وضع مصطلحات لاتينية ثابتة تعمم في كل اللغات اسوةً بالطب وغيره من العلوم ذات المصطلحات المضبوطة . ذلك لانهُ نشأ في فجر التاريخ مع الانسان الاول بين احضان امه الفلسفة . وقضى طفولته سابحاً في سماء الخيال مخترقاً حجاب المادة . فكان يحدثنا عن الروح والنفس وملكاتها والعقل ودرجاته والالهام والوحي والفطرة . وغير هذه من الامور التي شغلت عقول الفلاسفة وافهام جبابرة المفكرين حيناً من الدهر ثم ثبت بطلانها وعفت آثارها ولم يبق لها شبر واحد في ارض العلم الحديث . وظل في حداثته يتبع اثرها اينما سارت في ميدان الدين والاخلاق والمنطق والجمال والمعرفة تارةً . والطبيعة وما وراءها تارةً أخرى : وكان طبيعياً أن يستخدم في لغته التي يعبر بها المشتغلون فيه من الاقدمين عن آرائهم بنفس ما لهذه العلوم من أساليب وتراكيب ومصطلحات . وان تبقى لهذه المصطلحات معانيها الفلسفية وصيغها القديمة ما دام قاصراً في كنف الفلسفة .

وما وافى القرن التاسع عشر على تمامه حتى كان قد بلغ أشده. وظهرت شخصيته وتحرر من نير امه الفلسفة الكلاسيكية واتخذ لنفسه طريقاً خاصة للبحث . ووسائل للتنقيب والتعليل . وتناول مصطلحاته القديمة بين التهذيب فاحتفظ بمدلولات بعضها ومعانيها وحوّل البعض الآخر تحويلاً اخرجها عن معناها القديم . وأخذ يتبوأ مكانته من العلوم الاخرى على مهل في اسلوبه الجديد . واذا به يطفر في القرن العشرين طفرة واحدة يزاحم فيها الطبيعة والكيمياء وعلم الحياة يأخذ منها مبدأها وجهازها وآلها . ومن الرياضة طرقها وأساليبها واقيستها ومعادلاتها . وامتدت يده الى التجارة والصناعة والفن والعلم والطب والادب والاجتماع والتقدم والاختراع . وحلّ ضيفاً على موائدها يتخير من ألفاظها ومصطلحاتها وأساليبها ما يوافقه فيضمه الى قاموسه وموسوعته . وكثر الباحثون وتعددت المدارس وتشعبت نواحي البحث وظهرت الى عالم الوجود مظاهر جديدة للعقل لم تكن معروفة من قبل . بادر العلماء الى وضع مصطلحات جديدة لها لم توضع في قواميس اللغة بعد . حتى صار لكل عالم وكل مدرسة مصطلحات جديدة لا يفهمها غير الدارس لمباحث هذه المدارس . المتتبع لتطورات العلم . وكذلك صارت لغة هذا العلم خليطاً غريباً من كل صنف من فلسفي قديم ينوء تحت عظمة مجده وتاريخه القديم . الى دخيل من علوم اخرى لم ترد ماريته بعد . الى حديث لم يجف مداده

وغرضنا في العجالة الآتية ان نعرض نماذج تخير لها من ألوف مصطلحات هذا العلم في اللغة الانكليزية ومثلها كثير في كل لغة من اللغات الاوربية . يصعب تحديد معناها بكلمة عربية واحدة . ويشق نقلها وتعريبها على المترجم الذي يعتمد على قواميس اللغة ومعاجمها والفاظها الثبتة فيها من غير ان يدرس كل فروع علم النفس دراسة محكمة مستفيضة ويتتبع تطور مصطلحاته . وأنا مدين بالفضل كل الفضل لزوجتي السيدة نظلة الحكيم سعيد في تحضير هذه النماذج ووضع القاموس التي سنتناول بعضاً منها في المقالات المقبلة ان شاء الله

اللغة

١ — كلمات تعطيها قواميس اللغة معاني متعددة . ويستخدمها الكتاب والادباء وكذلك علماء النفس بطريقة مضطربة غير محدودة تجعل فهمها وتحديد معناها عسيراً على الطالب المبتدىء والقارىء العادي والمترجم حتى اضطرّ الكثير من العلماء المحدثين الى اغفالها بتاتاً في كتابتهم او تحديد معناها تحديداً يجعله واضحاً كلّ الوضوح اذا اضطرتهم الضرورة لاستعمالها فكلمة Feeling مثلاً تطلق على الاحساس (اللمسي وغيره) والشعور الداخلي وما يتوقع حصوله والتأثر والانفعال والاعتقاد . وقد قصرها المحدثون على الوجدان او الشعور الباطن بالانفعال ومع هذا التحديد يفضلون عليها كلمة affection

٢ — كلمات لها علاوة على معناها اللغوي العام في علم النفس معنى آخر خاص بمدرسة

من المدارس تفهم به في جميع مباحثها ومؤلفاتها لا غير . فكلمة insight تفيد على وجه العموم وفي معظم مؤلفات علم النفس التعليمي معنى التبصر في عواقب الامور (او كما يقال القراءة بين السطور) والمعرفة عن طريق الالهام والوحي كمرادف لكلمة intuition — وبعد النظر — ولكنها في مدرسة جشتالت الالمانية الحديثة وحدها تفيد ادراك العقل لمعنى الموقف او التشكيلة Pattern التي تواجه الانسان من عناصرها التي تتكوّن منها — وبعبارة اخرى انتزاع المعنى النفسي من العناصر الشيئية حتى اصبحت هذه المدرسة تعرف باسم Insight School او Gestalt

٣ — كلمات معناها اللغوي العام لا يدل على معناها السيكولوجي الخاص بوجه من الوجوه فكلمة Complex معناها العام معقد او مركب اما في علم النفس فتدل على مجموعة الانفعالات المكبوتة او التجارب المؤلمة والحوادث المنسية التي تنحدر الى اللاشعور فتكوّن هناك عقدة نفسية خطيرة تهدد كيان التوازن العصبي

٤ — كلمات بين معناها العام والخاص وجه شبه ولكنهُ ضعيف جدًّا لا يكفي لتوضيح معناها في علم النفس فكلمة affection معناها العام مؤثر او فعّال . وتطلق بالمعنى الخاص على الامور الوجدانية (التأثر الوجداني)

٥ — كلمات لها في علم النفس معناها العام اذا ذكرت وحدها اما اذا ارتبطت بكلمة اخرى لها هي الأخرى معنى عام اصبح لها معنى خاص يدل على شيء معين بالذات فكلمتا Analytic تحليلي و Scale مقياس معناهما مجتمعتين Analytic scale مقياس خاص من المقاييس المقننة في علم النفس لتحليل الخط والكتابة فقط

٦ — كلمات تعتبر مترادفات في قواميس اللغة ولكن لكل منها في علم النفس معنى خاصًّا دقيقاً فكلمات Tendency و Disposition, و Aptitude, ومعناها كلها نزعة او استعداد. اما في علم النفس فكل منها يدل على استعداد خاص له مميزاته عن باقي الاستعدادات

٢ — الفلسفة

٧ — كلمات انحدرت الى علم النفس من الفلسفة ثم تغير معناها بتغير وجهة نظر علم النفس في الشيء الذي كانت تطلق عليه سابقاً . فكلمة abulia او aboulia تفيد الآن معنى ضعف النفس او تشتت الانتباه وكانت اصلاً في الفلسفة ضعف النفس وقت ان كان علماء النفس لا ينكرون وجود النفس

٨ — كلمات لها في علم النفس معناها الفلسفي واضيف اليها معنى آخر يكمل ما كشفهُ علم النفس من النقص في وجهة النظر الاولى فكلمة aesthetic بعد ان تغيرت وجهة النظر من الناحية الموضوعية او الشيئية في ادراك الأشياء الى الناحية النفسية الفاعلية على اعتبار ان

العقل لا الشيء ذاته هو الاصل في الادراك اصبحت تقيد : التقدير النفساني للجمال . او ما تراه النفس في الشيء من جمال بحسب تقديرها هي . لا جمال الشيء في ذاته بصرف النظر عن الناحية النسبية المتغيرة كما هو الحال في الفلسفة وعلم الجمال

٣ — المنطق

٩ — كلمات أخذت اصلاً من المنطق واحتفظت بمعناها ثم استخدمت في معنى آخر جديد لا صلة له بالمعنى المنطقي Anomalous معناها في المنطق : كل ما هو غير قياسي او خارج على القاعدة او شاذ . ثم من ناحية اخرى تطلق في علم النفس على الاشخاص الذين لا يتأثرون بالتوتين الأخضر والاحمر بالذات من مجموعة الالوان بنسبة واحدة . وكذلك على قياس الالوان على اعتبار انها عرضة لهذا النوع من الخطإ في التمييز

١٠ — كلمات تشير الى عمليات عقلية لها في العقل على وجه العموم اعتبار واحد . ثم تعدلت في رأي مدرسة من المدارس السيكولوجية . فكلمة Judgment كانت ولا تزال في معظم مدارس علم النفس تدل على الحكم بمعناه المنطقي (اثبات شيء لشيء او نفيه عنه) ولكنها في تعاليم مدرسة ديوي الحديثة لا تطلق الا على آخر مرحلة في التفكير او التعليل. فلا يكون هناك حكم الا اذا تضاربت الآراء في مسألة وفوضل بينها ثم اختير اصلحها . فجملة (الشمس طالعة) هي حكم في المنطق ولكنها لا تكون كذلك في رأي ديوي الا اذا كان فيها خلاف ثم ثبت طلوعها

٤ — الطبيعة

١١ — كلمات اخذت من الطبيعة والعلوم الفيزيقية . ثم حدد معناها لمناسبة جديدة او اعتبار لا تراعيه الطبيعة فكلمتا audiometer , accoumeter تدلان في الطبيعة على جهاز قياس حدة الصوت او السمع على حد سواء . ولكن في علم النفس التجريبي يقصر الاول على حدة السمع والثاني على حدة الصوت للتمييز بينهما

٥ — الطب ووظائف الأعضاء

١٢ — كلمات اخذت من الطب وتحولت الى معنى خاص ولا تزال تستخدم في الطب بالمعنى الاصلي الذي لا يحدد ما يقصده علم النفس الحديث . بل قد تتطور فيه من طريق آخر فيصبح لها معنى طبي جديد يخالف المعنى السيكولوجي . فكلمة acatalepsis او acatalepsia يقصد بها عامة نقصان العقل او عدم الفهم والارتياب — ومعناها الطبي الخاص التردد في تشخيص المرض . اما معناها السيكولوجي فاساءة الفهم او تشويش الادراك الذي يكون سببه الوظيفي سوء الظن والتشكك وضعف الاستعداد لقبول القضايا على علاتها والتسليم بالبديهيات

١٣ — كلمات تدل على ماهيات عقلية او بدنية . اغفل معناها الطبي العنصر العقلي منها ولم يميزه عن العنصر الفزيولوجي او العضوي مع عظم شأنه . ولما كشفت المباحث النفسية الحديثة عن طبيعتها وردّتها الى الظواهر العقلية او طبيعة الاسباب النفسية (لا الموضوعية) تغير معناها فأصبح مخالفاً للمعنى الطبي . Accousmatogeesis يقصد بها الطب عدم تمييز الاصوات ذاتها اى المؤثرات الصوتية الفيزيقية من الناحية الحسية العرفية . من حيث الاصوات ذاتها او مسبباتها . أما معناها الدقيق في علم النفس فهو عدم القدرة على تمييز المدركات الصوتية مع سماعها وتمييزها بعضها عن بعض كمجرد اصوات . اي ان الصوت يسمع ويميز ولكن لا يفهم معناه ان كان جملة او كلمة فهو ضعف ادراك المعنى لا ضعف احساس بصوت

١٤ — اسماء الامراض العصبية التي تسببها اضطرابات البيئة والمدنية المتغيرة ويبقى معناها الطبي كما وضع اول مرة مشيراً الى سبب المرض كما شخصه وعرفه الاطباء قديماً . وكان هذا السبب صحيحاً في ذاته او كان هو السبب الوحيد وقتئذ ثم قل اجتهاد الاطباء في درسه وانتقل البحث الى ميدان علم النفس فوجد علماؤه من تطور اسباب هذا المرض ان السبب القديم قد زال وانقرض وحل محله سبب جديد من دواعي المدنية الحاضرة يستدعي تغييراً جوهرياً في رجمته او نقله الى العربية . والرجوع فيه الى التفسير الطبي او الكتب التي لم يدرس واضعوها علم النفس لا يفيد . فكلمة — amaxaphobia — معناها الاصلي عند بدء اشتقاقها ونحتها — الخوف من ركوب العربات (ذات الخيل مثلاً) . أما الآن فتفيد الخوف من ركوب وسائل النقل الميكانيكية التي يخشى سائقها ان تفلت قيادة الآلة من يده لسبب ما فيعرض نفسهُ للهلاك . او ادارة الماكنات والآلات التي يكون الانسان تحت رحمتها

١٥ — مأخوذة من علم وظائف الاعضاء وقد يقبل معناها العام كما هو ولكن يستحسن المحدثون ان يقصر معناها في علم النفس على ناحية خاصة . فكلمة aesthesia تطلق على جميع الاحساسات التي يقوم بها سطح الجلد . وتقصر الآن على الاحساس اللمسي الصرف (لا احساس الحرارة والثقل والألم)

٦ — اللغات الاجنبية

١٦ — كلمات من لغة اجنبية (هي في الغالب الالمانية) عمّ استعمالها في سائر اللغات الاوربية لانها تفيد معنىً دقيقاً يراد الاحتفاظ به . فكلمة anschauung مثلاً استخدمها يستالوزي للدلالة على الادراك الحسي المباشر او معرفة الانسان للامور بنفسه مباشرة وبنى عليها طريقته في التعليم المباشر ومثلها Aussage تطلق على شهادة الشهود وتقرير الوقائع والتجارب التي تجري فيها

١٧ — كلمة من لغة اجنبية لها مقابلها في لغة اخرى ولكنها تدل على معنى أدق من وجهة النظر السيكولوجية فتستخدم الاجنبية بدلاً من الاصلية فكلمة anxiety الانكليزية تستخدم عند الاشارة الى مجرد القلق النفسي او الحيرة فاذا قصد القلق الشديد المشوب بالخوف او توقع الضرر والاذى استخدمت كلمة angst الالمانية

١٨ — كلمات موجودة بذاتها في اكثر من لغة واحدة ولكنها لا تدل على نفس المعنى المحدود او تكون لها معانٍ مختلفة فكلمة Sentiment معناها بالفرنسية عاطفة وشعور ووجدان وميل واحساس . أما في الانجليزية فمعناها عاطفة لا غير

٧ — علم النفس

١٩ — كلمات كانت اصيلة في علم النفس لها معناها اللغوي العام ولكنها الآن اصبحت في حكم المقتصرة على معنى خاص عرفت به او اصطلح عليه او كثر استعمالها فيه فتدل عليه ولو ذكرت وحدها من دون تمييز. فكلمة achievement تفيد على وجه العموم : التحصيل او القيام بأي عمل تحصل منه نتيجة ويتحقق الغرض الذي قصد منه ولكنها أصبحت منذ زمن قصير وقفاً على التحصيل المدرسي او ما يحصله التلميذ ويتلقاه في المدرسة من العلوم كمرادف لكلمة Scholastic attainment . وكذلك الكثير من مركباتها تفهم منها الأمور المدرسية الخاصة ولو لم تذكر معها كلمة scholastic فعبارة achievement tests يفهم منها اختبارات التحصيل المدرسي — لقياس مقدار ما حصله كل تلميذ في سن خاصة أو فرقة دراسية على أساس المتوسط المتقن المقدر لهذه الفرقة او التلاميذ الذين يكونون في هذا السن — لا مطلق التحصيل . وكذلك كلمة Eduction معناها العام انتزاع شيء من اشياء او استنباط رأي من مقدمات . ولكنها أصبحت الآن اذا ذكرت من غير تمييز تطلق على عملية استنباط العلاقات بين الاشياء والمواقف بناء على قوانين العلامة الانجليزي سپيرمان في الادراك

٢٠ — كلمات تختلف المدارس السيكولوجية في تحديد معناها وما تشير اليه . وقد تختلف كل معانيها السيكولوجية عن المعنى اللغوي العام. فكلمة affection تفيد لغةً الحنو او العطف الذي هو مظهر من مظاهر عاطفة الحب. وعند المدارس القديمة كلها المظهر الوجداني للوجود بكل حالاته من انفعال وعاطفة وتأثر وشعور باطني وتعبير خارجي. والمدارس الحديثة تقصرها على الشعور النفساني الداخلي بالانفعال لا على المظهر الخارجي الذي يبدو على الانسان وهو منفعل

٢١ — كلمات سيكولوجية لها معنيان عام وخاص قد لا يكون بينهما وجه شبه كبير فكلمة Presentation بالمعنى العام تفيد مطلق وجود الأشياء او المؤثرات او ايجادها امام الانسان حتى يتعلق شعوره بها . وبالمعنى الخاص في عبارة Presentation Theory تدل على

نظرية الادراك القائلة بأن حضور المؤثرات امام العقل يدفعه الى ادراكها اي ان الوجود الشيء هو اساس الادراك — المعارضة لنظرية Descartes النفسية

٢٢ — كلمات سيكولوجية بحتة ولكنها قليلة الاستعمال ولا توجد في قواميس اللغة ولذلك يحار الانسان في فهم معناها ان لم يكن قد تتبعها في البحوث الخاصة بها . فكلمة Perseveration تدل على ظاهرة رجوع العادة القديمة وظهور أثرها فجأة وفي فترات متقطعة غير منتظمة في العادة الجديدة التي يكتسبها الانسان كوسيلة للخروج عن العادة الاولى . لان النزعات والعادات القديمة اذا بطل استعمالها تحاول ان تثبت وجودها في قرارة النفس . وهذا المعنى فيه وجه شبه ضعيف بينها وبين الكلمة العادية القريبة منها وهي Perseverance أي المثابرة

٢٣ — كلمات متعددة وضعها علماء مختلفون في عصر واحد للدلالة على شيء واحد ولم يتفقوا بعد على تعميم واحدة منها . فالعلامة فرويد يستخدم كلمة libido وبرجسون كلمة élan vital وماكدوجل كلمة horme للدلالة على النشاط الغريزي الحيوي الذي يدفع الانسان الى كافة التصرفات الغريزية وان كان فرويد قد بدأ يقصرها على الغرائز الجنسية sexual

٢٤ — كلمات شائعة الاستعمال جداً في علم النفس والفلسفة والتربية ولكنها مع هذا ليس لها معنى واحد ثابت يمكن نقله الى العربية في كلمة واحدة لان كل مدرسة من مدارس علم النفس الحديث والقديم على السواء تفسرها تفسيراً خاصاً قد لا يتفق مع الأصل الذي اشتقت منه الكلمة لو اريد استخدامه عند الترجمة. فكلمة apperception استخدمها ليبنز بادىء ذي بدء للدلالة على الادراك الحسي الشعوري conscious perception وبعبارة اخرى ادراك الحقائق الاولية والضرورية (كذا) والافكار الواضحة في مجال الشعور — والفيلسوف كانت للدلالة على النشاط الذاتي او النفسي الذي هو في رأيه اكبر محدد للعمليات العقلية وخصوصاً عملية الادراك — وهربارت لتحديد الامور الشعورية الحاضرة عن طريق الشعور ذاته ، والعوامل الكائنة بالفعل التي تحدد ما يدخل الذهن من المواقف الجديدة — وفنط الالماني يجمع بين الرأيين فيعتبرها العملية التي بمقتضاها توضح لنا مدركاتنا القديمة مواقفنا الحاضرة الجديدة — وستاوت الانكليزي يضيف الى ذلك تنظيم معلوماتنا القديمة في مجموعات تسيطر على كل اعمالنا العقلية — والمحدثون وعلى رأسهم ماكدوجل يطلقونها على تثبيت المدركات الجديدة بعد اعطائها معنىً محدوداً بادماجها عن طريق التمثيل assimilation فيما يماثلها او يمت اليها بصلة من اجزاء كتلة المدركات القديمة

٢٥ — كلمات لها في علم النفس عدة معان خاصة كل منها يخالف المعاني الاخرى واستعماله

صحيح في كل حالة ويفهم معناه بما يشير اليه فكلمة induction تطلق في التفكير على الاستقراء وفي الاحساس البصري على امتصاص مناطق الالوان في العين كلٌّ للون الذي يخصها وطرد الباقي وفي الجهاز العصبي على توصيل المجامع العصبية لبعض الرسائل ، وفي المشاركة الوجدانية على انتقال الشعور من فرد لآخر بطريقة غير محسوسة

٨ — كلمات جديدة

٢٦ — كلمات وضعها بعض العلماء حديثاً ولم تثبت في القواميس بعد . ولا يفهم معناها مباشرةً من اصولها اللاتينية او اليونانية التي اشتقت منها. فكلمة aience مثلاً وضعها هولت للدلالة على النزعة الطبيعية لتجنب زيادة النهيج العصبي الى اكثر من الدرجة المحتملة التي اذا تخطاها الانسان اختلّ نظام اعصابه . ولا شأن لها بالكلمتين aberance او abeyance اللتين تفيدان حالة الانتظار او الايقاف والوقف والعمل الموقوف

٢٧ — كلمات مركبة تدل على معنى خاص لا يفهم من منطوقها العام او من ترجمة اجزائها فكلمة actograph تدل على جهاز قياس النشاط الحيواني (للحيوان فقط وليس للانسان) — ولا تدل على تدوين الفعل او تسجيله كما يفهم من كلمتي acto و graph كل على حدة

٢٨ — كلمات جديدة اشتقت من كلمات قديمة معروفة باضافة مقطع اليها وتركيبها لا يفهم منه معناه الدقيق الذي وضعت الكلمة من أجله . فكلمة abreaction وضعها فرويد للدلالة على عملية انطلاق الطاقة الانفعالية المكبوتة للتنفيس عنها والتخلص من العناصر المصاحبة للتجربة المكبوتة السابقة التي تسبب قلقاً عصبيًّا لا شعوريًّا. ولا يقصد بها التصرف الشعوري الذي يكون الغرض منه الابتعاد عن الموقف الحاضر كما يفهم من الكلمة الاصلية reaction والمقطع الذي اضيف اليها ab

٢٩ — كلمات وضعت لتدل على طريقة خاصة او جهاز او تجربة وكان لا يفهم معناها من منطوقها وانما بدراسة موضوعها الخاص . فكلمة Foot-Rule تطلق على معادلة خاصة من معادلات سبيرمان الرياضية لقياس معامل الارتباط بين متغيرين . وكذلك كلمة Affect وضعها العلامة الالماني فنط للدلالة على الانفعالات التي يصحبها نهيج بدني كبير واضطراب في العمليات العقلية

٣٠ — كلمات وضعت حديثاً نسبة الى علماء مخصوصين لتدل على طرق خاصة بهم فلا يفهم معناها الاّ بدراسة هذه الطرق فكلمة Freudism نسبة الى Freud تدل على طريقة هذا العالم الخاصة في معالجة الاضطرابات العصبية بالتحليل النفساني